



بسم الله الرحمن الرحيم

فضائل الاستغفار ٢٠ / ١٢ / ١٤٣١ هـ (غ)

أما بعد: فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، وتقربوا إليه جل
وعلا بصالح الأعمال وكثرة التوبة والاستغفار، فإن الله تعالى - وهو اللطيف الخبير -
قد علم ما في الخلق من ضعف، وما هم عليه من قصور ونقص، قد يحملهم على
ارتكاب الذنوب واقتراف المعاصي، ففتح لهم سبحانه باب الأمل والرجاء في العفو
والمغفرة، وأمرهم أن يلجؤوا إلى ساحات كرمه وخزائن فضله، فهو سبحانه رحيم
بمن رجاه، قريب ممن دعاه، والخطأ والتقصير مما جبل عليه البشر، والسلامة من ذلك
مما لا مطمع فيه لأحد، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم في صحيحه:
«والذي نفسي بيده، لو لم تذبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون
الله تعالى فيغفر لهم»

وإن شأن الكمل من أهل التقوى وأرباب الهدى أنهم إذا أذنبوا استغفروا، وإذا
أخطؤوا تابوا، كما قال عليه الصلاة والسلام: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين
التوابون» رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما



وإن من واسع فضل الله على العباد أنه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار،
ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وأنه تعالى يغفر الذنوب كلها، فعلى العبد أن
لا يقنط من رحمة ربه وإن عظمت ذنوبه وكثرت آثامه.

ولقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بإخلاص الدين وإدامة الاستغفار،
فقال عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾
فكان صلى الله عليه وسلم ملازمًا للاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، حتى قال عن
نفسه صلى الله عليه وسلم: «والله، إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من
سبعين مرة» رواه البخاري . وهكذا شأن أرباب العزائم وأهل الإيمان الخالص،
يلجؤون إلى الله على الدوام، ويكثرُونَ التوبة والاستغفار، صادقين مخلصين، غير
يائسين ولا مصرين، قد ملأت خشية الله قلوبهم، ورسخت في مقام الإحسان
أقدامهم، فهم بين مراقبة ربهم وشهود أعمالهم ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
بِالْأَسْحَارِ﴾ أولئك هم العارفون المتقون، يؤدون الفرائض، ويكثرُونَ من الطاعات
والنوافل، ثم يسارعون إلى الاستغفار خشية التقصير أو الإخلال فيما قدموا من
صالح الأعمال، ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾



ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن فرغ من تبليغ رسالة ربه وبلغ البلاغ المبين أمره ربه أن يكثر من الذكر والاستغفار فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ وكان عليه الصلاة والسلام إذا فرغ من صلاته بادر إلى الاستغفار، وحجاج بيت الله الحرام مأمورون بالاستغفار بعد الإفاضة من عرفة والمشعر الحرام ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فإذا كان الاستغفار مشروعاً بعد الطاعات، فكيف به بعد المعاصي والموبقات.

عباد الله، إن من رحمة الله بكم ومزيد فضله عليكم ما رتب على الاستغفار من عظيم الجزاء وسابغ الفضل والعطاء، فإن كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية والمنح الربانية والفلاح في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

وإذا كثرت الاستغفار في الأمة وعم أفرادها وصدر عن قلوب موقنة مخلصه دفع الله به عن العباد والبلاد ضرراً من البلاء والنقم وصنوفاً من الرزايا والمحن، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾



وإن من آثار الاستغفار أنه سبب لنزول الغيث المدرار وحصول البركة في الأرزاق
والثمار وكثرة النسل والنماء، كما قال سبحانه حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ
أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مُمْدِرًا وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾

والمستغفرون يمتعهم ربهم متاعًا حسنًا، فيهنئون بحياة طيبة، ويسبغ عليهم
سبحانه مزيدًا من فضله وإنعامه ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا
حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾



الحمد لله:

فلقد بشر الله عباده برحمته وغفرانه، وأمرهم بالتوبة والوقوف ببابه متضرعين سائلين، وشوقهم إلى عفوه وحلمه، وأخبرهم بأن رحمته سبقت غضبه، وأن حلمه سبق انتقامه، وأنه جل وتعالى يغفر الذنوب ولا يبالي، ولو بلغت مكان السُّحْب العوالي، فقد روى الترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»

أيها المؤمنون، بالاستغفار يُقال المذنب من ذنبه ويسلم من المؤاخذه عليه، قال صلى الله عليه وسلم «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فر من الزحف» رواه أبو داود والترمذي.

أيها المسلمون، إن الاستغفار سنة الأنبياء والمرسلين، وطريق الأولياء والصالحين، يلجؤون إليه في كل وقت وحين، في السراء والضراء، به يتضرعون وبه يتقربون، وبه يرتقون في مدارج القرب عند الله، به ينورون قلوبهم وينيرون قبورهم، وبه يصححون سيرهم إلى الله، وبه يُنصرون ويُمطرون ويرزقون ويغاثون ويرحمون،



فذكر عن الأبوين عليهما السلام أنها قالوا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وذكر لنا عن نوح عليه السلام أنه قال: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وذكر عن موسى عليه السلام أنه قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ وذكر عن نبيه داود عليه السلام أنه قال: ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ وذكر عن نبيه سليمان عليه السلام أنه قال: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾، وأمر خاتم رسله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾، وأمرنا بالاستغفار فقال: ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قال علماءنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار، ويثبت معناه في الجنان، وليس التلفظ بمجرد اللسان، فمن استغفر بلسانه وقلبه مصرّ على معصيته فاستغفاره يحتاج إلى استغفار".

وقال بعض العلماء: "من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه".

فأقبلوا على ربكم وأطيعوه، واستغفروه وتوبوا إليه.

اللهم اجعلنا من المستغفرين الكثيرين بالليل والنهار، واقبل اللهم استغفارنا واحشرنا مع أهلِكَ الذاكرين، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين.